



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات  
Arab Center for Research & Policy Studies

تقدير موقف | 16 نيسان/ أبريل، 2019

# هجوم حفر على طرابلس: بين الرهانات الإقليمية ووقائع الميدان

وحدة الدراسات السياسية

## وحدة الدراسات السياسية

هي الوحدة المكلفة في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بدراسة القضايا الراهنة في المنطقة العربية وتحليلها. تقوم الوحدة بإصدار منشورات تلتزم معايير علمية رصينة ضمن ثلاث سلسلات هي: تقدير موقف، وتحليل سياسات، وتقييم حالة. تهدف الوحدة إلى إنجاز تحليلات تلبي حاجة القراء من أكاديميين، وصنّاع قرار، ومن الجمهور العام في البلاد العربية وغيرها. يساهم في رفد الإنتاج العلمي لهذه الوحدة باحثون متخصصون من داخل المركز العربي وخارجه، وفقاً للقضية المطروحة للنقاش..

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2019

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرف، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الضعائن، قطر

هاتف: + 974 40354111

[www.dohainstitute.org](http://www.dohainstitute.org)

# المحتويات

1. معركة العاصمة والرهانات الإقليمية
2. حسابات الميدان وتعثر الحسم
3. رد الهجوم
3. فشل التسوية
4. خاتمة

أطلق اللواء المتقاعد خليفة حفتر عملية عسكرية جديدة، ليلة 4 نيسان/ أبريل 2019، بهدف السيطرة على العاصمة الليبية طرابلس. وفي غضون ساعات قليلة دخلت قواته مدينة غريان، كبرى مدن جبل نفوسة، وعدداً من البلدات القريبة منها من دون قتال، كما سيطر مسلحون محليون موالون له، من صبراتة وصرمان وورشفانة، على بوابة أمنية تقع على الطريق الساحلي غرب العاصمة، وتسربت أرتال من الآليات إلى مناطق حزام طرابلس الجنوبي، وحاولت زوارق حربية القيام بإنزال بحري شرق مدينة الزاوية. ورغم سرعة التحرك الميداني وكثافة الترويج الإعلامي اللذين وسما العملية في بدايتها، فإن الآمال المعقودة عليها، لتحقيق إنجاز عسكري وسياسي سريع وخلق أمر واقع يعيد تشكيل المشهد الليبي، باءت بالفشل.

## معركة العاصمة والرهانات الإقليمية

لم يكن المشهد العسكري والسياسي في ليبيا، منذ إطلاق ما يسمى عملية «الكرامة» بقيادة حفتر، في عام 2014، بمنأى عن السياقات الإقليمية والدولية والترتيبات التي طالت عدداً من البلدان بهدف التحكم في مخزجات الحراك الشعبي العربي منذ عام 2011 وإعادة إنتاج المنظومات الشمولية. ولم يكن ممكناً تصور نشوء ظاهرة حفتر من دون دعم الإمارات العربية المتحدة أولاً، ومصر والسعودية وفرنسا ثانياً. وتشير الدلائل إلى أن الجولة الجديدة من الصراع على تخوم طرابلس ليست حدثاً ليبيا خالصاً. فقبل أيام قليلة من تحريك قواته نحو طرابلس، زار حفتر العاصمة السعودية، الرياض، والتقى خلالها الملك سلمان بن عبد العزيز وقيادات أمنية وعسكرية وسياسية، وسط تغطية إعلامية لافتة من طرف وسائل الإعلام السعودية. ورغم أن البيانات الرسمية السعودية اكتفت بالإشارة إلى أن الطرفين «استعرضا تطورات الأحداث في الساحة الليبية والجهود المبذولة تجاهها بما يحقق الأمن والاستقرار فيها»<sup>(1)</sup>، فقد تحدثت مصادر إعلامية غربية مثل صحيفة **وول ستريت جورنال** عن وعود سعودية بتغطية تكاليف الحملة العسكرية على طرابلس ومدّها بالأموال والأسلحة<sup>(2)</sup>.

كما تصاعد أيضاً الدعم العسكري واللوجستي الذي تقدّمه الإمارات لقوات حفتر مع انطلاق الهجوم على طرابلس، حيث رصدت حركة جوية مكثفة بين مطارَي أبوظبي وبنينا في بنغازي لطائرات نقل عسكرية، بحسب ما كشفت مواقع متخصصة في رصد حركة الطيران ومصادر إعلامية عربية وغربية<sup>(3)</sup>، وظهرت مدرعات وعربات وناقلات جند من النوع الذي تستخدمه القوات الإماراتية في اليمن، في أشرطة دعائية بثتها وسائل إعلام موالية لحفتر، وتمكّنت قوات حكومة الوفاق من غنم أعداد منها. ويواظب قائد عملية «الكرامة» على أداء زيارات دورية إلى أبوظبي التي ساهم طيرانها المسيّر والحربي، بكثافة، في معارك بنغازي ودرنة والهلل النفطي، منطلقاً من القاعدة الجوية الإماراتية في منطقة الخادم، جنوب مدينة المرج، أو من قاعدة بنينا التي تتمركز فيها تشكيلة من القوات الجوية الإماراتية<sup>(4)</sup>. ومن المتوقع، قياساً على معارك بنغازي ودرنة سابقاً، أن تلجأ الإمارات إلى تقديم مساندة جوية، استطلاعية وقاتلية، لقوات حفتر، جنوب طرابلس، انطلاقاً من قاعدة الوطية، في حال عجزها عن تحقيق أي تقدّم ميداني.

وفي السياق ذاته، يتواصل الموقف المصري الداعم لحفتر، والمعلن منذ اليوم الأول لإطلاق الهجوم على طرابلس. فقد استقبل الرئيس المصري، عبد الفتاح السيسي، خليفة حفتر، في 14 نيسان/ أبريل 2019، وكرّر

1 "سمو ولي العهد يلتقي قائد الجيش الليبي ويستعرضان تطورات الأحداث في الساحة الليبية"، وكالة الأنباء السعودية، 2019/3/27، شوهد في 2019/4/16، في: <http://bit.ly/2Dfxhlp>

2 Jared Malsin & Summer Said, "Saudi Arabia Promised Support to Libyan Warlord in Push to Seize Tripoli," *The Wall Street Journal*, April 12, 2019, accessed on 16/4/2019, at: <https://on.wsj.com/2DhloKn>

3 عبد الله الشريف، "ما هي أهداف الدعم الإماراتي لحفتر... وكيف تستعد طرابلس لمواجهة؟"، العربي الجديد، 2019/4/14، شوهد في 2019/4/16، في: <http://bit.ly/2UnScrW>

4 انظر على سبيل المثال: "الجزيرة تكشف عن قاعدة عسكرية إماراتية شرقي ليبيا"، الجزيرة نت، 2018/2/19، شوهد في 2019/4/16، في: <http://bit.ly/2Zcsx9o>

تأكيد «دعم مصر لجهود مكافحة الإرهاب والجماعات والميليشيات المتطرفة لتحقيق الأمن والاستقرار للمواطن الليبي في كافة الأراضي الليبية» (5). وتعدّ القاهرة من أبرز الداعمين، سياسياً ودبلوماسياً وعسكرياً، لحفتر منذ إطلاق عملية «الكرامة» في عام 2014، وسبق لقواتها تنفيذ غارات جوية لدعمه في درنة والهلل النفطي، كما تحتفظ بقوات جوية في قاعدة الخروبة. أما الموقف الفرنسي، فتشير بيانات المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني، ضمناً، إلى أن لديه معلومات تفيد أن فرنسا ليست بعيدة عن التحرك العسكري الذي يستهدف العاصمة (6). وقد أكدت ذلك مصادر إعلامية متواترة كشفت عن انطلاق طائرات تجسس فرنسية مسيّرة من قاعدة الوطية الجوية، الواقعة تحت سيطرة قوات حفتر، جنوب غرب طرابلس، لتقديم الدعم لقواته التي تخوض قتالاً ضارياً ضد قوات حكومة الوفاق الوطني (7)، في حين كشفت مصادر عسكرية تونسية وصول مجموعة من المسلحين الفرنسيين، يعتقد أنهم مستشارون عسكريون لدى قوات حفتر، إلى معبر حدودي بين البلدين، على متن سيارات دبلوماسية.

ويأتي تكثف الدعم السياسي والعسكري الموجه إلى قوات حفتر في سياق مرحلة سياسية إقليمية مشابهة للمرحلة التي شهدتها بلدان عربية عدة في عام 2011. فعلى الحدود الغربية لليبيا، لا تزال الاحتجاجات متواصلة في الجزائر رغم خروج الرئيس عبد العزيز بوتفليقة من المشهد، ولا يزال مطلب إجراء تغيير عميق في منظومة الحكم قائماً. أما على الحدود الجنوبية الشرقية لليبيا، وبعد حراك امتد شهوراً، وأفضى إلى خلع الرئيس السوداني عمر البشير، لم يستقر المشهد بعد على اتفاق حول الفترة الانتقالية وآلياتها. وفي الأثناء تتزايد المؤشرات إلى مساع إقليمية للتأثير في مخزجات الحراك السوداني من خلال «دعم وتأييد الخطوات التي أعلنها المجلس العسكري الانتقالي في السودان» (8)، وعود «بتقديم حزمة من المساعدات الإنسانية تشمل المشتقات البترولية والقمح والأدوية» (9).

## حسابات الميدان وتعثر الحسم

لم يكن الهجوم الذي شنته قوات حفتر على طرابلس، ليلة 4 نيسان/ أبريل، مفاجئاً لمتابعي المشهد الليبي، خاصة بعد سيطرتها على عدد من مدن وبلدات الجنوب، غير أن اللافت للانتباه عدم تعاطي المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني ورئيسه فايز السراج، القائد الأعلى للجيش الليبي بموجب اتفاق الصخيرات، بحزم مع التهديدات التي أطلقها كبار قادة قوات حفتر والتقارير التي بثها الإعلام عن أرتال عسكرية كبيرة تتجه إلى المنطقة الغربية والحزام الجنوبي للعاصمة، وعدم اتخاذه أي إجراءات عسكرية احترازية. وساهم صمت المجلس الرئاسي وحكومة الوفاق في «صنع المفاجأة» مع الدخول السريع لقوات حفتر إلى مدينة غريان، وفتح ثغرة في الحزام الإستراتيجي الجنوبي للعاصمة، ثم تحريك مجموعات صغيرة للسيطرة على بوابة 27 على الطريق الساحلي غرب العاصمة ومجموعات أخرى إلى المطار وقصر بن غشير ووادي الربيع والعزيرية، على التخوم الجنوبية للعاصمة، وسط ترويج إعلامي مكثف ومنسق أمّنته صفحات تواصل اجتماعي وقنوات فضائية؛ يبيث أغلبها من أبوظبي والقاهرة وعمّان وتونس، أظهرت ضخامة الأرتال العسكرية وقوة تسلّحها وترحيب الأهالي بها في كل منطقة تدخلها.

5 خالد محمود، "دعم مصري لحفتر في جهود مكافحة الإرهاب بليبيا"، جريدة الشرق الأوسط، 2019/4/15، شوهد في 2019/4/16، في: <http://bit.ly/2UEr397>

6 "رئيس المجلس الرئاسي يتلقى مكالمة هاتفية من الرئيس الفرنسي"، صفحة المكتب الإعلامي لرئيس المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني، فيسبوك، 2019/4/8، شوهد في 2019/4/16، في: <http://bit.ly/2v7iNj5>

7 انظر على سبيل المثال، عيد الله الشريف، "مصادر تكشف بدء دعم فرنسي لحملة حفتر على طرابلس"، العربي الجديد، 2019/4/11، شوهد في 2019/4/16، في: <http://bit.ly/2Zf4eaP>

8 "الإمارات ترحب بتعيين البرهان رئيساً للمجلس العسكري الانتقالي في السودان"، العربية نت، 2019/4/14، شوهد في 2019/9/16، في: <http://bit.ly/2Xm1N7j>

9 "المملكة تؤكد تأييدها لما ارتآه الشعب السوداني الشقيق"، صحيفة الرياض، 2019/4/13، شوهد في 2019/4/16، في: <http://bit.ly/2XdhKtJ>

ويبدو جلياً، من خلال الترويج الإعلامي المكثف الذي واكب التحركات العسكرية الأولى في تخوم طرابلس، أن قوات حفتر وداعميها الإقليميين كانوا يعوّلون على إحداث حالة عامة من الصدمة والهلع والإرباك تمنع تنظيم أي مقاومة، وعلى تشجيع مناصريهم داخل العاصمة على التحرك لتشيت جهود القوات الموالية لحكومة الوفاق الوطني وفتح ثغرات تسهّل السيطرة على العاصمة في حيز زمني وجيز جداً، كما كانوا يعوّلون على تسليم بعض الكتائب مواقعها وأسلحتها من دون قتال، على غرار ما جرى في مدينة غريان وبعض مدن الجنوب. وتتأكد حقيقة هذا السيناريو أكثر مع إعلان الأجهزة الأمنية لحكومة الوفاق، خلال الأيام الأولى للهجوم، عن ضبط مجموعات ممن وصفتهم بـ «الخلايا النائمة» في مواقع متفرقة من العاصمة، وعن التحفّظ على عناصر قيادية في عدد من الكتائب المسلحة، أغلبها من ذوي التوجه السلفي المدخلي.

## رد الهجوم

لم يذم مفعول الصدمة الأولى طويلاً، إذ تمكّنت قوات من مدينة الزاوية من طرد قوات حفتر التي تسللت إلى الطريق السياحي غرب العاصمة، خلال ساعات قليلة، وأسرت العشرات منهم، وغنمت آليات وأسلحة، ثم بدأت في التحرك جنوباً باتجاه العزيزية وحزام العاصمة. وفي الآن نفسه، انطلقت عملية تحشيد كبيرة للكتائب المسلحة من طرابلس ومصراتة وزليتن وزوارة وغيرها، وتوجيهها إلى العاصمة، وضمّها إلى قوات المنطقة العسكرية الغربية والمنطقة العسكرية الوسطى والمنطقة العسكرية بطرابلس التابعة لوزارة الدفاع بحكومة الوفاق الوطني. ورغم أن قوات حفتر تمكّنت، في اليومين الثاني والثالث من الهجوم، من السيطرة على مزيد من المواقع جنوب العاصمة، بينها مطار طرابلس الدولي المتوقف عن العمل منذ عام 2014، فإن قوات حكومة الوفاق استرجعت أغلبها، في عمليات كُرّ وفرّ أوقعت مزيداً من الأسرى من القوات المهاجمة، وعشرات من القتلى والجرحى من الجانبين. ومع نهاية الأسبوع الأول، توقّف التقدم الميداني لقوات حفتر على جميع المحاور، وتبيّن أن الحسابات التي كانت معقودة على تحقيق حسم ميداني سريع لم تُبنَ على أسس موضوعية.

مع بداية الأسبوع الثاني للهجوم دخل الطيران إلى ميدان المعركة من الجانبين، ففي حين شنت قوات حفتر غارات متتالية على مواقع قوات الوفاق جنوب العاصمة، شنّ الطيران التابع للكلية الجوية بمصراتة غارات على مواقع قوات حفتر في غريان وجنوب العاصمة وعلى خطوط إمدادها في الجفرة وجنوب سرت. وبالتوازي مع ذلك كُتفت قوات حفتر القصف بصواريخ «غراد» والمدفعية على أحياء جنوب العاصمة، ما أدى إلى إحداث دمار كبير في منشآت مدنية، بينها مدارس ومخازن ومستشفيات ميدانية، وإلى نزوح آلاف السكان إلى الأحياء البعيدة عن مرمى النيران. وتشير تحولات المعركة من القتال السريع والمتحرك إلى استخدام الطيران والصواريخ والمدفعية إلى تكتيك جديد يعتمد التدمير المكثف للبنى التحتية والمناطق السكنية لتسهيل التقدم، وهو التكتيك الذي استخدم من قبل في بنغازي ودرنة، وحوّل الكثير من مناطقيهما إلى أرض محروقة.

## فشل التسوية

لا تبدو، حتى الساعة، أي مبادرات سياسية جادة لإنهاء القتال جنوب العاصمة، إذ اكتفت أغلب الأطراف ذات الصلة بما يجري في ليبيا، بما فيها بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا، بإصدار بيانات تحتّ جميع الأطراف على التهدئة وإحياء العملية السياسية(10)، ورغم أن المواقف الصادرة عن دول مثل إيطاليا والولايات المتحدة

10 انظر تصريحات رئيس البعثة الأممية إلى ليبيا غسان سلامة، في: صفحة بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا، فيسبوك، 2019/4/6، شوهد في 2019/4/16، في: <http://bit.ly/2GplpPv>

تميّزت بتحميل حفتر مسؤولية التصعيد ودعته إلى إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل الهجوم الحالي، فإنها لم تتحوّل إلى إجراءات دبلوماسية للضغط على حفتر وداعميه الإقليميين. أما على المستوى الليبي، فقد طوى الهجوم مشروع «المؤتمر الوطني الجامع» الذي كانت بعثة الأمم المتحدة تسعى إلى عقده في مدينة غدامس، منتصف الشهر الحالي، بهدف الخروج بخريطة طريق لتوحيد المؤسسات؛ بما فيها الجيش، وإجراء انتخابات تفرز سلطة تنفيذية وتشريعية جديدة. ورغم أن حفتر لم يُبدِ، منذ إطلاق عملية «الكرامة»، اهتمامًا يُذكر بالتوافقات والحلول السياسية، فإن السراج حرص، منذ تولّيه منصبه، على التحلي بأقذار كبيرة من التحفظ والدبلوماسية، وحتى التماهي، في التعامل مع طموحات اللواء المتقاعد، غير أنه وجد نفسه مضطراً إلى التخلي عن سياسة مسك العصا من الوسط بعد هجوم طرابلس. ومن المستبعد أن يعود قريباً إلى سياسته السابقة، في ظل التحشيد الذي يميز المشهد في طرابلس، ومعظم المنطقتين الوسطى والغربية، في مواجهة هجوم قوات حفتر.

## خاتمة

طوى الهجوم الذي تشنّه قوات حفتر على طرابلس مرحلة سياسية وعسكرية، ودشن أخرى. وبعد أسبوعين من القتال الضاري، لم تتمكن القوات المهاجمة من تحقيق تقدّم مهم على جميع المحاور، ولم يُؤدّ الترويج الإعلامي الكثيف إلى إحداث اختراقات وسط العاصمة. وعلى الجهة المقابلة، تبدو المؤسسات السياسية ممثلة في المجلس الرئاسي وحكومة الوفاق، والعسكرية ممثلة في الكتائب القادمة من شتى مدن الغرب، قد حققت قدرًا من توحيد الجهود واستوعبت الهجوم. وتذهب مؤشرات عدة إلى أن إطالة أمد المعركة قد يُحدث تدميرًا كبيرًا في العاصمة وجوارها، ويحوّلها، في الآن ذاته، إلى مستنقع للقوات المهاجمة، ويؤدي إلى تراجع مشروع عملية «الكرامة»، رغم الدعم الإقليمي الذي يحظى به. ولا يستبعد بعض المتابعين أن يخلق الهجوم على العاصمة بكتائب ذات هوى قبلي ومناطقى وعقائدي، وما يقابله من تحشيد وتعبئة في المنطقتين الوسطى والغربية، مزاجًا تستغله القوى التي تطرح خيارات التقسيم والتجزئة.